

رسالة الأحزاب والتيارات والمنظمات اللبنانية السيادية

لغة البطريرك الكاردينال مار نصر الله بطرس صفير بمناسبة زيارته

الراعية المباركة لمدينة تورنتو في كندا

تورنتو ٢١/٣/٢٠٠١

غبطة أبينا البطريرك، نيافة الكاردينال مار نصر الله بطرس صفير الكلي الطوبى:
باسم القوى والتجمعات اللبنانية الكندية السيادية، حزب الكتائب اللبنانية، تيار القوات اللبنانية، المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية - صوت التيار الوطني الحر في كندا، والمجلس الكندي للجامعة اللبنانية الثقافية نرحب بكم أحر الترحيب. فقدمكم المبارك إلينا غمر القلوب بالفرح، والاعتزاز وشدد العزائم، ووطد الرجاء في النفوس، ورسخ الصمود، وعزز الثقة بانتصار الحق على الباطل.
غبطة أبينا البطريرك:

لقد طالت جلجلة شعبنا وتجاوزت مضامين الصبر وتعدت حدوده وفاقت طاقة الاحتمال. وفيما كان المرتجى ختاماً للمعاناة يكرم تضحيات أهلنا ويبلسم جراحهم ويقدم شهادتهم ويحقق أمنيتهم، شرع القلب النابض بالعنفوان والناضح بالكرامة الوطنية لغزوة جاهلية أسقطت، بتواطؤ إقليمي ودولي، آخر معقل حرّ في رحاب الوطن في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩٩٠. ولقد قدّم ذلك "الفتح" مهراً للقيادة السورية لموافقتها على ركوب "هودج" عاصفة الصحراء مع الفرق أنها ألزمت بإخراج جيشها إثر تحرير الكويت لئلا يطيب لها الاستيطان والتسلط كما هو حاصل في لبنان. إن خديعة اتفاق الطائف أوكلت الذئب برعاية الحمل وثبتت أن بنوده لم تردع غريزة الذئب ولم تكبح شهيته. لذا لا غالب بين اللبنانيين فكلهم طرائد الذئب، حتى ولو عفر بعضهم فئات ولائمه. لكن اللبنانيين الأصلاء أحرار وسليوا أحرار تصدوا وما زالوا يتصدون لكل أشكال الاحتلال والهيمنة. وكما كل نضالهم وتمسكهم بالقرار الدولي ٤٢٥ بجلاء الاحتلال الإسرائيلي، كذلك سيثمر تشبثهم بتنفيذ القرار الدولي ٥٢٠ خروج الجيش السوري من لبنان إلى بلاده حيث موقعه الطبيعي. أما مزارع شبعنا التي غيبت طيلة قضم سوريا لها وما ظهرت إلا بعد انسحاب إسرائيل فتقتضي جدية معالجتها إصدار وثيقة رسمية سورية لبنانية تقرّ بلبانيتها تبرز للأمم المتحدة. لكن التفصيل لن يغيب عن بالنا المشهد الكامل للوضع:

تطويب القيادة السورية لمن يبايعها سلطة القرار ولاة ينتحلون صفة تمثيل الشعب اللبناني. لكن لا يظن أن غالبية اللبنانيين ستدعن لاقتناص لبنان بسطوة الجيش السوري المنغرز في أرضه وداخل مؤسساته والمتحكم بمراكز قراره. كيف يرضى اللبنانيون بهيمنة سورية عسكرية انتهكت حقوق انسانيهم، وفرضت حصاراً دائماً عليهم، وحظراً وسجناً على قياداتهم ومناضليهم، وسببت هدراً لإقتصادهم، وإجهاداً لديمقراطيتهم، وتشويهاً لهويتهم، ومسحاً لثقافتهم وتاريخهم. فعبثت بالمناهج، وطوقت الجامعات، وخرقت حرمت المؤسسات الحكومية والأهلية والنقابية والدينية؟ ربما فات المتسلطين أن اللبنانيين انتفضوا على الحكم اللبناني يوم تسلل المكتب الثاني إلى كثير من مواقع السلطة وصححوا الوضع، فكيف يُعقل الرضوخ لشذوذ وشهوة المفترسين في هذه الحقبة من الإطباق السوري على لبنان؟

هل وصل الاستخفاف والازدراء بعقول اللبنانيين إلى حد الادعاء أن تفريخ مراكز الجيش والمخابرات السورية في المرافق العامة وفي قلب الوزارات (ومنها وزارة العدل) وعلى تخوم وزارة الدفاع والقصر الجمهوري هو ضمن استراتيجية التصدي لإسرائيل؟

كأننا بالنظام السوري ضلّ طريقه إلى الجولان فاكتمح لبنان "الخاصة الرخوة" وساحة التجاذب الإقليمي والدولي" ومنطلق الابتزاز المجزي. فهو هكذا في عرف النظام السوري وليس الدولة السيدة الحرة المستقلة المؤسسة لمنظمة الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية والمعترف بها دولياً. وإذا كان النظام السوري يدعي دعم السلطة اللبنانية حالياً فلأنها طيّعة بيده وغطاء مثالي لنفوذه الممجوج، وبالتالي لا يحسب أحد أن ما يصدر عن هذه السلطة المحلية هو لبناني صرف، وإنما تلقين وإملاء سوريين. وما إطلاق المبشرين للإشادة بالدور السوري داخلياً وخارجياً ولوم اللبنانيين بتوعد، إلا فورة سورية تستهدف الضغط عليكم وافشال جولاتكم يا صاحب الغبطة، كما ترمي إلى تعديل خطاب قداسة البابا يوحنا بولس الثاني خلال زيارته القريية لسوريا. لا شك أنكم لمستم كما لمسنا مدى محاصرتم ومحاصرتنا لمنع إيصال حقيقة معاناة أهلنا إلى مراكز القرار. نحن نخشى أن تكون لوثّة التبشير بالتدجين قد طالت حفنة من رجال الدين أيضاً.

من المؤسف أن تستغلّ العلاقات السورية اللبنانية المميزة بخللها وشذوذها، كل مقدرات الدولة اللبنانية واجهزتها للإساءة إلى مصالح لبنان ولخدمة أغراض الحكم السوري ورعاياه ومحظييه من سوريين ولبنانيين على حساب المكلفين من المواطنين اللبنانيين الثقيلين بديون تجاوزت ٢٦ مليار دولار أميركي. كلنا يعرف كيف يُوظف النفوذ السوري لإعطاء الأفضلية للسوريين على اللبنانيين ولاستدرار الأرباح من تهريب البضائع، والبشر وكيف كدست الثروات بالممارسات غير المشروعة.

لقد استنزف وطننا مادياً وبشرياً وقيماً ودوراً حضارياً. فمد النزوح والهجرة ما زال دفاقاً، وحضور لبنان الرائد إقليمياً ودولياً، ما زال مقزماً، وفرادة هويته وتنوعه البشري والحضاري ما زال يُعنى في تمزيقها ونحرها. لذا يُصعق اللبنانيون كلما تنطح جهابذة الاجتهاد في التدجين السوري ليصنفوا بديهية السيادة والحرية والاستقلال "احتقانا فنوياً" و"تهجاً تصادمية" يستغل "رحابة صدر سوريا" وكأن الوضع معكوس. ومن الطرافة أن يردد لابسوا العباءة السورية أن لبنان مهياً ليكون ميدان صدام عكس الجولان الذي هو "ورقة سياسية".

صاحب الغبطة من مؤشرات الخطر أن يسري اعتقاد بين أبناء الشعب السوري أن لبنان ساحة أسلاب وأن المرحلة الراهنة هي المرحلة الأخيرة لهضم لبنان، في الوقت الذي تُقلل فيه مندييات المتقنين والمحامين في سوريا وتُخرس أصواتهم المنادية بما يطالب به اللبنانيون وكأنهم في وحدة حال معهم.

غبطة سيدنا البطيريك تعرفون أن الألقاب لا تصنع القواد لكنكم مع كوكبة من القيادات الوطنية سميت أعلى من مراتب الألقاب كما سَمَا أهلنا فوق محنهم لينتصبوا عمالقة في صمودهم. كلنا حللنا في وحدة وجدانية معكم ندافع عن وجود وطننا وكرامة أهلنا، ولا قيمة اليوم للانتماءات الحزبية إن لم تكن في سبيل عزته وشموخه. لقد حملتم في ضميركم آلام اللبنانيين وقضية الوطن فاستقطبتم كل اللبنانيين الذين ينبض حب لبنان في عروقهم وزدتم على مآثر أسلافكم مداميك صلبة.

نحن معكم قلباً وقالباً ولتكن مسيرة توحيد الصفوف نقية من الأدران مبنية على الأسس التي ثبتتم على المجاهرة بها والتي تضمنها بيان المطارنة والأساقفة الموارنة الصادر في ٢٠ أيلول سنة ٢٠٠٠.

أدامكم الله مرشداً روحياً ينفخ الرجاء في النفوس ويضيء الدرب بكلمة الحق ويلهم الهمم مقومات الصمود ويحمي الرعية من غدر الذئاب.

ختاماً نردد ما قاله قداسة البابا مؤخراً:
"إن لبنان الذي تعذب كثيراً آن له أن يرتاح"، "سأظل أصلي وأعمل وأساعد حتى ينتهي عذاب لبنان".

رئيس قسم الكتائب في تورنتو/ كميل سعادة

رئيس قسم القوات اللبنانية في تورنتو/ ادمون الشدياق

رئيس مجالس الجامعة اللبنانية الثقافية في كندا/ حميد عواد

رئيس المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية/ الياس بجاني